

العربية لغة نزل القرآن الكريم بلسانها وعرفتها أقوام الجزيرة العربية وهي قبائل عربية بائدة وتحذوا بها، وعلى هذا فان العربية في الأصل ليست لغة العرب التي يأتي معناها اللسان المبين الواضح كما ورد في قوله تعالى (ولَقَدْ نَعَلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلَّمُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (103) النحل، وقوله تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) وعلى هذا فقد اطلقت تسمية العرب على الأقوام الذين تحذوا العربية بلسانها الواضح المبين ، فمعنى الفصاحة في تسمية اللغة بالفصحي مأخذناً اصلاً من اللَّبن باعتبار الفصح هو (خلوص الشيء مما يشوبه وأصله في اللبن، اذا تعرى من الرغوة) واما ما جاء في قوله تعالى (قرآننا عربيا) فالمعنى به صفة البيان والوضوح وللسان المبين وليس ما يظنه الكثرين العرق والنسب او انتماء العرب حيث نزل فيهم وانما جاء بلسانهم وهو الأصل من بطون البوادي (أهل الودي) واصحاب اللسان الفصيح المبين الواضح . ولو سلمنا لهذا المفهوم فان العربية ليست عرقا او عنصرا ولا انتماء اقلانيا او محليا ، انما العربية للسان المبين وكل من يتحدث بها فهو عربي. ولو اخذنا بنظريات المفكرين والعلماء على ان الانسان يولد بنظام فطري وهو القول الامثل فاللغة موجودة بولادة الانسان وبلسان العربية الذي يتغير لسانها عند تعرض المولود الى مجتمعات لغوية مغايرة فتحتاج بعد تعلمه بلغتها ، وهذا مصدق لقوله تعالى ( وَادْخُلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ) مدعياً ان شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ) ، والعربية لغة خالدة لا تموت كما هو حال اللغات الأخرى بالرغم من ضعف العرب ووهنهم حالياً بين الأمم ، والعربية لغة غزيرة جزيلة في مادتها اللغوية وبناءها في (٢٨) حرفاً مكتوباً ولربما يضاف اليها حرف الهمزة يوماً لتصبح اللغة الاكثر حروفاً بين اللغات . إنَّ لِلْعَرْبِيَّةِ دُورٌ فِي تَأكِيدِ شَخْصِيَّةِ هَذِهِ الْأَمَّةِ وَصِيَاغَةِ فَكْرِهَا وَإِثْبَاتِ أَصْلِهَا وَتَمْيِيزِهَا وَفَاعْلَيْتِهَا فِي تَوْحِيدِ الْأَمَّةِ وَإِلْسَامِ فِي حَرْكَةِ نَهْضَتِهَا وَتَقْدِيمِهَا الْحَضَارِيِّ . فَاخْتَلَفَ الْأَلْسُنَةُ فِي الْآيَةِ وُصِّفَ بِأَنَّهُ طَارَى عَلَى الْأَصْلِ الَّذِي يَقْتَضِي وَحْدَةَ الْلُّغَةِ الْأَوَّلِيِّ ، وَيَقْتَضِي تَعُدُّ الْفَرَوْعَ وَتَنْوُعُهَا كَمَا تَعَدَّتِ الْقَبَائِلُ وَتَفَرَّعَتْ وَاحْتَلَفَتْ مَعَ أَنَّهَا تَرْجِعُ فِي الْأَصْلِ إِلَى مَجَمِعٍ وَاحِدٍ . وَقَالَ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ قال الإمام ابن ملخه : وذلك لأنَّ لغة العرب أفسح اللغات ، وأكثراها تأدبة للمعاني التي تقوم بالنفوس ، وللعربيَّةِ خصوصيَّةٌ أبرزتها آيات القرآن الكريم (الذى هو المعجزة الإلهيَّةُ البَيَانِيَّةُ الَّتِي تَحْدِي اللَّهُ تَعَالَى بِهَا أَرْبَابَ الْفَصَاحَةِ وَالْبِلَاغَةِ فَاسْتَسْلَمُوا أَمَامَ إِعْجَازِهَا الْبَاهِرِ . وَبِرَى عَبْدُ الرَّحْمَنَ أَحْمَدَ الْبُورِينِيَّ أَنَّ الْلُّغَةَ إِلَهَامٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَمَهَا لَأَدَمَ ﴿ ، وَأَنَّ الْلُّغَةَ الَّتِي تَعْلَمُهَا أَدَمُ مِنْ رِبِّهِ هِيَ لُغَةُ الْأَرْضِ الْأَوَّلِيِّ ، وَكَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ أَنَّ مَعْجِزَةَ بَنِيَّتِهِ مُحَمَّدٌ ﴿ الْقَرَآنُ الْكَرِيمُ ، إِذْ جَاءَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْفَاظِ عَرَبِيَّةً فِي صُورَةِ آيَاتٍ بَاهِرَةٍ مَعْجَزَةً ، فَقَدْ حَازَتِ الْعَرَبِيَّةُ الْشَّرْفُ ذَاتِهِ الَّذِي حَازَتِهِ لُغَةُ آدَمَ ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴿ ، وَخَرَجَتِ كَلَتَنَ الْأَلْغُنَتِيْنِ مِنَ النَّبْعِ ذَاتِهِ ، وَهَذَا مَا يَوْمَئِي إِلَى أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ قَدْ تَكُونُ هِيَ لُغَةُ آدَمَ ، فَدِرَاسَةُ "الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَبْرَ التَّارِيَخِ" يُشَيرُ إِلَى ابْتِداِءِ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ الْأَوَّلِيِّ عَلَى الْأَرْضِ بِآدَمَ أَبِي الْبَشَرِ ﴿ ، وَيُمْكِنُ أَنْ نَفْهُمَ مِنَ الْآيَاتِ الْقَرَآنِيَّةِ أَنَّ آدَمَ عَاشَ فِي مَكَّةَ، قَالَ أَبْنَ عَاشُورَ: ((وَظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّ الْكَعْبَةَ أَوَّلُ الْبُيُوتِ الْمُبَيْنَةِ فِي الْأَرْضِ، وَقَالُوا: أَنَّهَا كَانَتْ مُبَيْنَةً مِنْ عَهْدِ آدَمَ ﴿ لَمْ دُرْسَتْ، فَمَنْ الَّذِي وَضَعَهُ؟ وَاللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ إِنَّهُ: "هُدَى لِلْعَالَمِينَ" ، نَعْرُفُ أَنَّهُ سَاعَةً إِسْكَانُ إِبْرَاهِيمَ لِذَرِيَّتِهِ كَانَ هَنَاكَ بَيْتٌ، وَعِنْدَمَا نَقَرَأُ عَنْ رَفِعِ الْبَيْتِ حَرَامَ نَجَدَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ﴿ لَمْ يَرْفَعْ قَوَاعِدَ الْبَيْتِ بِمَفْرَدِهِ، بَلْ شَارَكَهُ أَبْنَهُ إِسْمَاعِيلَ ﴿ ، ((وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) ، هَذَا نَعْلَمُ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ ﴿ كَانَ قَدْ نَضَجَ بِصُورَةٍ تَسْمِحُ لَهُ أَنْ يَسْاعِدَ وَالَّدَهُ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ فِي إِقَامَةِ قَوَاعِدِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَهَذَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ إِسْمَاعِيلَ نَشَأَ طَفْلًا فِي هَذَا الْمَكَانِ عِنْدَمَا أَسْكَنَهُ وَالَّدُهُ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ الْبَيْتِ الْمُحَرَّمَ، هَذَا نَتِيقَنُ أَنَّ الْبَيْتِ الْمُحَرَّمَ كَانَ مُوجَدًا مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ ﴿ . حَيْثُ تَبَدَّأُ رَحْلَةُ التَّفَرُّعُ وَالْانْقِسَامُ الْلُّغُوِيَّةِ تَبَعًا لِرَحْلَةِ التَّفَرُّعُ وَالْانْقِسَامِ الْإِجْتِمَاعِيِّ، وَآخِذَةً فِي الْابْتِدَاعِ مَعَ الزَّمْنِ وَمَعَ تَنْوُعِ الْتَّجْرِيبَةِ الْحَيَاتِيَّةِ وَالْبَيِّنَيَّةِ عَنِ الْأَصْوَلِ الْأَوَّلِيِّ: لِتَقْتُلَذُ بِذَلِكَ لَهَجَاتٍ يَظْهَرُ اخْتِلَافُهَا، فَنَشَأَتْ بَعْدَ ذَلِكَ الْلَّهَجَاتُ الْعَامِيَّةُ، وَهَذَا يُعَدُّ أَسَاسًا فِي نَشَوَّهِ الْلُّغَاتِ مِنَ الْلُّغَةِ الْأَوَّلِيِّ، وَدِلِيلًا عَلَى صَحَّةِ اِنْتِسَابِ لَغَاتِ الْبَشَرِ لِلْلُّغَةِ الْأَصْلِيَّةِ وَاحِدَةً، وَتَنْوُعُ الْلَّهَجَاتِ بِتَنْوُعِ الْبَيَّنَاتِ، الْأَمْرُ الَّذِي يُسَاعِدُ فَهْمَهُ عَلَى إِنْجَاحِ الدِّرَاسَةِ الْلُّغُوِيَّةِ فِي هَذَا الْمَجَالِ. وَاسْتِحْدَاثُ مَخَارِجٍ جَدِيدَةٍ وَاحِدَةٍ عَنِ الْجَمِيعِ" وَهَذَا يَدْلِلُ عَلَى مَا يَوْجَدُ مِنْ تَشَابِهِ بَيْنَ الْلَّهَجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْعَامِيَّةِ الْمُبَنِّيَّةِ مِنَ الْلُّغَةِ الْفَصْحِيِّ أَصْلًا، وَبَيْنَ الْلُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ بَاعْتِبَارِهَا لَهَجَةً عَرَبِيَّةً قَدِيمَةً جَدًّا مِنْ وَجْهِ نَظَرِ بَعْضِ الدَّارِسِينِ، فَمَثَلًا عَنْدَ النَّظَرِ إِلَى الْكَلْمَةِ الْعَرَبِيَّةِ "كَهْفٌ" (cave) سَتَجَدُهَا فِي الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، فَيَتَبَادرُ إِلَى الْذَّهَنِ إِيَّيِ الْلُّغَاتِ أَخْذَتْ مِنَ الْأَخْرَى، فَتَرَى كَلَّا يَقُولُ: إِنَّ لَغَتَهُ هِيَ الْأَصْلُ. فَلَعْنَتَنَا تَعُدُّ وَاحِدَةً مِنَ الْلُّغَاتِ الْمُتَمَيَّزَةِ فِي الْعَالَمِ، بَلْ يَرَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهَا لُغَةُ الْبَشَرِيَّةِ الْأَوَّلِيِّ، إِلَى الْعَرَبِيَّةِ رَبَّمَا يُعَدُّ دِلِيلًا عَلَيْهَا مَادِيًّا مَلْمُوسًا عَلَى أَنَّ الْأَسْرَةِ الْلُّغُوِيَّةِ الَّتِي تَعُدُّ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ إِحْدَى بَنَاتِهَا قَدْ تَنَتَّمِي إِلَى الْأَصْلِ الْعَرَبِيِّ. وَتَسْتَحِثُ الْمُخْتَصِّينَ فِي الْدِرَاسَاتِ الْلُّغُوِيَّةِ عَلَى النَّظَرِ إِلَى هَذِهِ الْدِرَاسَةِ، دِرَاسَةُ مَقَارِنَةٍ بَيْنَ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْلُّغَاتِ إِنَّ لِلْدِرَاسَةِ الْمُعْجمَيَّةِ الَّتِي تَتَقَصِّي تَارِيخَ الْكَلْمَاتِ وَتَنْتَظِرُ فِي تَرَكِيبِهَا وَتَرْدِهَا إِلَى أَصْوَلِهَا الْعَرَبِيَّةِ، دُورٌ

مهم في كشف كثير من الأمور عن اللغة العربية ودورها في الأسبقية اللغوية.ويرى بعض الباحثين أن مخرجات البحث المقارن تشير إلى أن اللغات السامية هي لهجات عربية قديمة لم تزل معظم خصائصها اللغوية موجودة إلى اليوم في لهجات الجزيرة العربية، فموطن العرب الأصلي هو وسط شبه الجزيرة العربية، من خلال دراسة مقارنة بين اللغة العربية واللغات القديمة، لتبيّن لنا أن الجاهلية الأخيرة لم تكن إلا مرحلة ضئيلة جداً من حياة العرب في أميّتهم هذه قبل الإسلام بزمن سحيق يصعب علينا الحدس بياديه، ففي القرن السادس بعد الميلاد يتراءى هناك عالمٌ زاخرٌ بالحياة وبالشعر وبالرقي الفكري، شعر فطري في مضمونه، بينما هو من حيث الشكل في غاية الأنفاس، وبفتح نصف العالم ثمّ تعود من جديد فتنطوي في النسيان . تشدُّ أكثر الشذوذ عن كل القوانين التي نحاول بمقتضاه تفسير تطور الفكر الإنساني؟ ومن بين الظواهر التي اقترن بها هذا الانبثاق غير المنتظر لوعي جديد في الجنس البشري، تبدو لنا فجأة بكل كمالها ومرؤتها وثرتها التي لا تنتهي. لقد كانت قبل من الكمال منذ بدايتها بدرجة تدفعنا إلى القول بإيجاز إنَّها منذ ذاك الوقت حتى العصر الحديث لم تتعَرَّض لأي تعديل ذي بال . ومنذ انتصاراتها المعجزة، قيل كل ما يمكن أن يقال عنها، ) . والاحتمالات اللغوية لكل حرف يشير ذلك إلى أصل لغة القرآن الكريم، وأصبحت حتى لغير المسلمين من العرب، منهم: الدكتورة تحيّة عبد العزيز إسماعيل، ألقت كتاباً بعنوان، محاولة في أصل اللغات، وألَّف الدكتور ناصر محى الدين ملوحي، والباحث عبد الرحمن أحمد البُوريُّني، ألَّف كتاباً بعنوان، اللغة العربية أصل اللغات كلها . ويمكّنا هنا أن نُعرِّج على دراستين الأولى دراسة عبد الرحمن البوريُّني، وهي أستاذة متخصصة في علم اللغويات، وقد بُنِيَ هذا الكتاب على بحثٍ استغرق منها عشر سنوات، إذ تناول الكتاب المقارنة بين ثلاث لغات قديمة؛ وهي: "اللغة الجermanية التي بُنِيَت عليها الإنجليزية الحديثة"، وتوصّلت إلى أنَّ ثمانين في المائة من أفعال اللغة السكسونية من أصل عربي، و "ودا" "Woden" ، وقد تأثرت كثيراً باللاتينية، "هيل" "hail". مما هو الأصل. 000)، وفي الأفعال والحرروف، 140)، وفي السكسونية تسعُمائة وألف . ومن خلال هذا الإحصاء يتبدّل إلى الذهن أنَّ اللغة السكسونية، فيحتمل أنَّ هذه اللغات قد طرأ عليها ضعف، فكلمة "harbour" الإنجليزية، فكلمة "برج" لم تتغّير في الجermanية القديمة، أمّا كلمة "هنا" فقد تغيّرت حسب قانون يقضي بتغيير المد في آخر الكلمة إلى حرف "ن" ، إذا وجد حرف ألقى في نفس الكلمة [by dissimilation] ، وما عداها لهجات متباينة منها، ) . وكلمات اللغة الإنجليزية في 1986 ، بعد أن ترسّخت في ذهنه فكرة انتساب اللغات إلى العربية؛ ليثبت فكرته بأنَّ لغة آدم عليه السلام هي العربية . وجُمِعَ ما يزيد عن (1500) كلمة في معظمها كلمات تستطيع أي قبيلة عاشت في العصور القديمة أن تستعملها، وهذه الكلمات تمثّل في معظمها جذوراً بالنسبة لغيرها . فأجرى دراسته على ما يقرب من خمسمائة كلمة إنجليزية متسلسلة حسب الترتيب الهجائي في قاموس المورد، وليس هذه الكلمات هي كلَّ ما ورد في القاموس تحت هذه الأحرف، بل هي على الأغلب الجنور التي تشتق منها صيغها الأخرى، كما أنَّ الدراسة استبعدت الكلمات الدالة على مسميات المخترعات، وأسماء العلوم والمصطلحات العلمية المشتركة بين كثير من اللغات، وركّز الجهد على دراسة الكلمات الأصلية والجنور اللغوية . ولكنَّ هذه الغرابة سرعان ما تزول، مدركاً مدى التحوّل الذي طرأ على الحروف والكلمات عبر التاريخ، ناظراً إلى احتمالات انحراف اللسان عن اللّفظ الأصلي للحرروف والكلمات . فالحرروف ذات المخارج المتقاربة قد يحل بعضها محل بعض، ومن طبائع الناس قلب الكلمة أو إسقاط شيء منها أو الزيادة عليها . وهكذا تظلُّ اللهجات يخرج بعضها من بعض بعد خروجها من اللغة الأولى؛ لذلك فيمكننا بالدراسات اللغوية المقارنة من إعادةها إلى أصلها الأول إذا رأينا التغييرات التي تطرأ على الألفاظ وأساليب التعبير . وما قد يعتريه المعنى من تغيير عبر الزمن، فقد نظر إلى الكلمة الإنجليزية إنَّها الشكل الأخير الذي وصلت إليه الكلمة العربية، فاللغة الإنجليزية في نظره هي في الأصل لهجة تمثّل الحلقة الأخيرة في سلسلة الحلقات التي تبدأ عند اللغة الأولى وهي اللغة العربية، وأنَّ قانون تكون اللهجات ينطبق عليها كما ينطبق على غيرها، لاتحاد الناس في تكوين أعضاء النطق؛ فمثلاً : ( طريق: Road) كتبها (رُوُد)، بينما يعني (الرُّوُد): المشي نفسه، وكلمة ( سيّء : Bad) بعد كتابتها بالعربية والعودة إلى المعجم وجد أنَّ صلتها هو باذ، فسفة بذيء . وكلمة ( Fail) وكانت ( فال: أي أخطأ رأيه وضعف)، ولم يُستَّ هذه الطريقة ببعيدة في الدراسات المقارنة للبحث في اللغات من حيث تشابهها واختلافها، وقد صنع مثل هذا عدم درس اللغويون الغربيون السنسكريتية واللغات الأوروبية في القرن التاسع عشر، فخرجو بنتيجة مفاده أنَّ اللغة السنسكريتية هي أصل اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية، وأنَّ مجموعة اللغات الآرية (الهندو أوروبية) تشكّل أسرة لغوية واحدة . فليس غريباً أن يعتري المعنى وجود بعض التغيير المساير لطبيعة العصر والحياة الاجتماعية، ليتم التعرُّف على الألفاظ . وأنَّ الكلمات المكونة لها في رحلتها عبر الزمن قديمة، فقد كانت من قبل في اللاتينية أو في اللغات البريطانية القديمة أو في السنسكريتية، وهي التي تعدها هذه الدراسة لأصلها العربي؛ والقطن) وغيرها، ويتعلّم التركيز على

الكلمات التي تمثل جذوراً بالنسبة لغيرها، ومحبة، فهذه الكلمات القديمة في اللغة الإنجليزية هي أكثر إثباتاً لصحة انتساب الإنجليزية للعربية، وأقلَّ تحولاً عنه من الكلمات الحديثة. مع أنها قد لا تخلوا من جذور بعض الكلمات، إلا أنَّ لنا في الكلمات القديمة ما يغني عن الاستشهاد بها . ومن الأمور التي ترجح أنَّ اللغة العربية قد تكون أصل اللُّغات سعتها في التفعيل والاشتقاق والتركيب . ففي الإنجليزية مثلاً لفظ "Tall" بمعنى طويل، فترى التشابه بين الكلمتين في النُّطق واضح، و"رضي ورضوان"، وإذا احتاج الأمر لا يجد الإنجليزي بدا من استخدام كلمتين مثل Good & Very Good للتعبير عن الجيد والأجود . ولا نعرف شيئاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً من غير تدرج وبقيت حافظةً لكيانها من كلٍّ شائبة". فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهاية، وليس منزليتها الروحية هي وحدتها التي تسمو بها على ما أودع الله فيسائر اللغات من قوة وبيان، أما السعة فالأمر فيها واضح، ويُضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات. وتزيين الدقة ووجازة التعبير لغة العرب، وتمتاز العربية بما ليس له ضريب من اليسر في استعمال المجاز، وإن ما بها من كنایات ومجازات واستعارات ليرفعها كثيراً فوق كل لغة بشريّة أخرى، وللغة خصائص جمّة في الأسلوب والنحو ليس من المستطاع أن يكتشف له نظائر في أي لغة أخرى،